

## تفسير البحر المحيط

@ 502 ( سقط : لتهدى إلى صراط مستقيم ، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض  
ألا إلا الله تصير الأمور ) .

الظاهر أن { وَقَالَ } ماض لفظاً ومعنى ، أي { وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا } في  
الحياة الدنيا ، ويكون يوم القيامة معمولاً لخسروا ، ويحتمل أن يكون معنى { وَقَالَ } :  
ويقول ، ويوم القيامة معمول لو يقولوا ، أي ويقولوا في ذلك اليوم لما عاينوا ما حل  
بالكفار وأهليهم . الظاهر أنهم الذين كانوا أهليهم في الدنيا ، فإن كانوا معهم في  
النار فقد خسروهم ، أي لا ينتفعون بهم ؛ وإن كانوا في الجنة لكونهم كانوا في الجنة  
لكونهم كانوا مؤمنين ، كآسية امرأة فرعون ، فهم لا ينتفعون بهم أيضاً . وقيل : أهلوهم  
ما كان أعد لهم من الحور لو كانوا آمنوا ، والظاهر أن قوله : { أَلَا إِنَّ  
الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقْتَرِمٍ } من كلام المؤمنين ؛ وقيل : استئناف إخبار من الله  
تعالى . .

{ مِّن قَيْدٍ أَن يَأْتِيَهُ يَوْمٌ } ، قيل : هو يوم ورود الموت ، والظاهر أنه يوم  
القيامة . و { مِّنَ اللَّاهِ } متعلق بمحذوف يدل عليه ما مر ، أي لا يرد ذلك اليوم من ما  
حكم الله به فيه . وقال الزمخشري : { مِّنَ اللَّاهِ } : من صلة للأمرد . انتهى ، وليس  
الجيد ، إذ لو كان من صلته لكان معمولاً له ، فكان يكون معرباً منوناً . وقيل : { مِّنَ  
اللَّاهِ } يتعلق بقوله : { يَأْتِيَهُ } ، من قبل أن يأتي من الله يوم لا يقدر أحد على رده  
{ مَالِكُمْ \* مِّن مَّالِكُمْ } تلجأون إليه ، فتخلصون من العذاب ، ومالككم من إنكار  
شيء من أعمالكم التي توردهم النار ، والنكير مصدر أنكر على غير قياس . قيل : ويحتمل أن  
يكون اسم فاعل للمبالغة ، وفيه بعد ، لأن نكر معناه لم يميز . { فَإِنَّ أَعْرَاضُوا }  
الآية : تسلياً للرسول وتأنيس له ، وإزالة لهمم بهم . والإنسان : يراد به الجنس ، ولذلك  
جاء : { وَإِنَّ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ } . وجاء جواب الشرط { فَإِنَّ الْإِنْسَانَ } ولم يأت  
فإنه ، ولا فأنهم ، ليدل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم ، كما قال : { إِنَّ  
الْإِنْسَانَ لَطَالٍ لَّيَوْمٌ كَفَّارٌ } ، { إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ } . .  
ولما ذكر أنه يكفر النعم ، أتبع ذلك بأن له ملك العالم العلوي والسفلي ، وأنه يفعل ما  
يريد ، ونبيه على عظيم قدرته ، وأن الكائنات ناشئة عن إرادته ، فذكر أنه يهب لبعض  
إناثاً ، وبعض ذكوراً ، وبعض الصنفين ، ويعقم بعضاً فلا يولد له . وقال إسحق بن بشر :  
نزلت هذه الآية في الأنبياء ، ثم عمت . فلو طأ أبو بنات لم يولد له ذكور ، وإبراهيم ضده ،

ومحمد صلى الله عليه وسلم ) وعليهما ولد له الصنفان ، ويحي عقيم . انتهى . وذكر أيضاً مع لوط شعيب ، ومع يحي عيسى ، وقدم تعالى هبة البنات تأنيساً لهن وتشريفاً لهن ، ليهتم بصونهن والإحسان إليهن . وفي الحديث : ( من ابتلي بشيء من هذه البنات فأحسن إليهن كن له ستراً من النار ) . وقال واثلة بن الأسقع : من يمن المرأة تبكيرها بالأنثى قبل الذكر ، لأن الله تعالى بدأ بالإناث . وقال الزمخشري : فإن قلت : لم قدم الإناث على الذكور مع تقدمهم عليهن ، ثم رجع فقدمهم ؟ ولم عرف الذكور بعد ما نكر الإناث ؟ قلت : لأنه ذكر البلاء في آخر الآية الأولى . وكفران الإنسان : نسيانه الرحمة السابقة عنده . . ثم ذكره بذكر ملكه ومشئته ، وذكر قسمة الأولاد ، فقدم الإناث ، لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاؤه ، لا ما يشاء الإنسان ، فكان ذكر الإناث اللاتي من جملة ما لا يشاؤه الإنسان أهم ، والأهم أوجب التقديم . والبلاء : الجنس الذي كانت العرب تعده بلاء ، ذكر البلاء وآخر الذكور . فلما أخرهم لذلك تدارك تأخيرهم ، وهم أحق بالتقديم بتعريفهم ، لأن التعريف تنويه وتشهير ، كأنه قال : ويهب لمن يشاء الفريقين ، الأعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم . ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حظه من التقديم والتأخير ، وعرفان تقديمهن لم يكن لتقدمهن ، ولكن لمقتضى آخر فقال : { ذُكِرَ أَنَاً وَإِنثَاءً } ، كما قال : { إِنثَاءً خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ